

حميمية السّكن بين الواقع المعاش والماضي

Intimacy of the home between lived reality and the past

المعطيات	المؤلف الأول	المؤلف الثاني	المؤلف الثالث
الاسم واللقب	سهير تراب		
الدرجة العلمية	الدكتوراه		
مخبر الانتماء	Arts, Musiques, Patrimoines, Environnements et Sociétés		
جامعة الانتماء	المعهد العالي للفنون والحرف بقابس		
البلد	تونس		
البريد الإلكتروني	trab.souhir@hotmail.fr		
الاسم واللقب والبريد الإلكتروني للمؤلف المرسل		سهير تراب	
		trab.souhir@hotmail.fr	
الملخص باللغة العربية			

	الملخص سعى هذا المقال - من خلال دراسة الفضاء الحميمي للسكن بقابس - تعيين مفهوم الحميميّة وقد تحوّل إلى فضاء أو بالأحرى وقد احتضنه الفضاء. ففي حين تجاوز الفضاء الحميمي مادّيته من مكان للسكن إلى كيان. كيان وجودي بوجوديّة ساكنيه، فعبره تتحدّد شخصيّة ساكنه ويتحدّد من خلالها. وهذا ما جعلنا ندرك الحميميّة في المسكن لنعيشها ويعيشها الفضاء فينا. فانتهينا إلى كشف حميميّة أنتجت روائع المسكن وإضاءته وأجواءه عبر رحلة الزمن من خلال أمكنة في الذاكرة وأمكنة مهجورة وعلاقة المكان بالجسد. وما ترمز له كل ممارسات السكن والسكون داخل الفضاء الحميمي من ثقافة الفرد واملاآت المجتمع. لأنّ رابطا وثيقا يجمع المسكن وطريقة تهيئته بروابط الحياة الاجتماعيّة والثقافيّة، فهو يواكب تحولاتها ويتحوّل بتحوّلها ويزول بزوالها.
	الكلمات المفتاحية: الحميميّة؛ السكن؛ المكان؛ الذاكرة؛ الهجرة؛ الجسد
الملخص باللغة الأجنبية	
ABSTRACT:	This article, through a study of the intimate living space in Gabes, sought to define the concept of intimacy as it has been transformed into a space, or rather, as it has been embraced by space. The intimate space has transcended its materiality as a mere dwelling place, becoming an entity—an existential entity defined by the existence of its inhabitants. An existential entity with the existence of its inhabitants, through which the personality of its inhabitants is determined and is determined through it. This is what made us realize the intimacy of the home, so that we could experience it and the space within us could

	experience it. We ended up revealing an intimacy produced by the smells, lighting, and atmosphere of the dwelling through a journey of time, through places in memory, abandoned places, and the relationship of place to the body. And what all the practices of dwelling and stillness within the intimate space symbolize in terms of individual culture and societal dictates. Because a close link connects the dwelling and the way it is prepared with the social and cultural ties of life, it keeps pace with its transformations, changes with its transformations, and disappears with its disappearance.
Key Words:	Intimacy; Housing; The place; memory; migration; body

حميمية السكن بين الواقع المعاش والماضي

ساهمت عدة عوامل في بناء وتشكيل الأفضية الحميمية منها العوامل الاجتماعية-الدينية والاقتصادية والتكنولوجية ومنها العوامل الفكرية والثقافية والأخلاقية. دون أن ننسى الدور الهام للمصمم الداخلي الذي اقتحم المشهد المعماري في مدينة قابس منذ حوالي أكثر من عقد. فبرز الاهتمام بالتصميم الداخلي خاصة في الأفضية السكنية. إذ التجأ العديد من المتساكنين إلى خبرة المختصين ومهاراتهم لتجسيد أحلامهم ورغباتهم في الحصول على مساكن عصرية. تتوفر فيها شروط الراحة والجمالية بشرط أن تستجيب إلى التيار المعماري المعاصر والذي يجمع بين الطراز العصري (style contemporain) وبين الطراز العالمي (style international). فكان تطوّر الفضاء الحميمي وعصرنته أمرا بديهياً. ونتج عن ذلك قطع تامّ مع العمارة التقليدية والبيئية المميزتان للمنطقة قديماً. أحاول في هذا المقال تسليط الضوء على مفهوم الحميمية وربطه بالعمارة السكنية. حيث اعتبرنا أنّ هذه الأخيرة تجسيد للحميمية. وإذا كانت "الحميمية تشير بطريقة شبه حتمية إلى حميمية أولى، تلك المتعلقة بالجسد"1 فإنني أزعّم أنّها تشير بديهياً إلى حميمية ثانية مرتبطة "بالفضاء/الجسد". ولأنّ الحميمية/الجسد (جسد/ جسد وفضاء/ جسد) ليست موجودة بالفطرة فهي تبنى وتتشكل.

وهذا ما أسعى أن أرصده عن طريق تحليل علاقة الأفراد بالفضاء المعاش. علّنا نسلط الضوء على مظاهر تلك التغيرات ونمسك بمظهرات الحميمية وكيونتها. لذلك كان التركيز أكثر على الأفضية الحميمية. فذهبنا إلى أبعد من الفضاء المعاش، إلى أمكنة في الذاكرة وأمكنة مهجورة ومكانية الجسد.

• الحميمية والحميم:

الحميمية أو الحميم هي امتدادات للعوالم الداخلية للإنسان وأسرارها وخفاياها وألغازها، تتجلى وتتخفى في المكان والزمان. فتبرز كائننا يطغى حضوره على الفضاء في شكل مساحة فردية أو ثنائية تضيق وتتوسّع حسب عدّة اعتبارات. كما تتلون بمظهر لا بل بمظاهر حسية ومحسوسة تخلق أبعاداً أخرى لذلك الفضاء فتتجاوز المكان والكائن.

تعبّر الحميمية عن جملة من العلاقات التي قد ينسجها الفرد مع ذاته ومع الآخر في آن، الآخر الإنسان الآخر الغرض الآخر الفضاء... إنّهُ الآخر الذي يتغيّر بمقتضى هذا المفهوم من الآخر الجحيم على حدّ ما يذهب إليه سارتر، إلى الآخر القريب، أو بالأحرى الآخر الحميم. لذلك فإنّ الحميمية كما القرابة، علاقة لا يحدّد مفهومها سوى الفرد بل وقد ينقلب المفهوم إلى الضدّ إذا ما ارتبط بالزّمان والمكان وقد "لا يسأل حميمٌ حميماً" ذات يوم...

¹ Catherine Potel Baranes, INTIMITÉ DU CORPS. ESPACE INTIME. SECRET DE SOI, ERES « Enfances & Psy », 2008/2 n° 39 | pages 106, <https://www.cairn.info/revue-enfances-et-psy-2008-2-page-106.htm>

الإنسان في حاجة دائمة لغيره إذ لا يستطيع العيش بمفرده فهو اجتماعي بطبعه. فبقدر حاجته إلى الحياة الاجتماعية هو بحاجة إلى الحياة الحميمية. وللعمارة دور هام في تحقيق العلاقات الاجتماعية بتوفير الفضاءات الملائمة للتلاقي والتآزر والتفاعل... وبها تتحقق الحميمية والتقارب بين الأفراد... وبذلك يشير مفهوم الحميمية إلى كلّ ما هو إحساس أو حالة روحية كما يمكن أن يحدّد خصوصية الفضاء. انها البحث في طيات الفضاء الداخلي واكتشاف ما هو أكثر عمقًا.

"الأنا وقبل كل شيء هي أنا الجسد، ليست مجرد كائن على السطح (يعني سطح النفس)، لكن هي في حدّ ذاتها انعكاس للسطح (سطح الجسد)"² الحميمية تستشعر بالجسد من خلال الطاقات الحسية للإنسان: الألوان والخبرات الحسية. إذ يمكننا تحسّس وإدراك الأفضية السكنية من خلال حواسنا اللمس والشمّ والنظر والسمع والتفرقة بين فضاء وآخر. فلكلّ فضاء في المنزل ما يميّزه عن الفضاء المجاور له من مكونات وإضاءة وتهوئة ورائحة وأصوات... كذلك معطّرات الفضاء من البخور إلى العنبر إلى الشمع المعطّر ومنه إلى الاصطناعي كلّها ترنو إلى تسهيل عملية خلق الجو الحميمي. فتواجد الفرد في فضاء دون غيره تحددها الحاجة الوظيفية والمزاجية التي يوقرها الفضاء ونمط العلاقة بينهما.

فتصميم المنزل وشكله ومرفولوجيته وكيفية توزيع أفضيته أهمّ عامل لتوفير الاتصال أو العزلة بين متساكنيه والحميمية والعلاقات الاجتماعية.

إن هذه العناصر والتفاصيل والذكريات التي ورد ذكرها للحميمية لها علاقة مباشرة بالمتساكنين. أهم عنصرين مكونين للعلاقة الحميمية هما الرّجل والمرأة. العلاقة بين الرّجل والمرأة أو ما يسمى بـ "l'intimité" وهي الحميمية التي تحققت والمرغوبة المتأثرة بالفضاء المعيشي ومختلف عناصره بمختلف أجزائها كالزّوايح والألوان والإضاءة... التي تهتمّ المرأة بصفة خاصّة بمختلف تفاصيلها وبذلك فإنّ المرأة تعتبر بصفة خاصّة بالجنوب التونسي هي المسؤولة على سكنها. فتواجدها في الفضاء يحمل لنا عديد الأنماط الحياتية المتناقضة فمنها العصري وآخر تقليدي.

ترتبط الحميمية في الفضاءات السكنية بنوع من العطاء المعماري الذي يتألف فيه الديكور. فالديكور والتصميم الداخلي لا يتعلّق فقط بالفيلاّت والمنازل الفخمة فوجوده سابق لكلّ الحضارات والعصور إذ نجده ممتدًا على عدّة عهود من العهد الحجري (غيران مطمطة) إلى يومنا هذا. فالإختلاف هنا ليس

² «Le Moi est avant tout un Moi corporel, il n'est pas seulement un être de surface (c'est-à-dire à la surface du psychisme) mais il est lui-même la projection d'une surface (celle du corps).» Agneray F, Tisseron S, Mille C, Wawrzyniak M, Schauder S, L'habitat et ses liens avec le psychisme: aspects psychopathologiques et cliniques de l'attachement à l'habitat, p5.

بالفخامة والبهرج ولا بتفضيل فضاء على آخر بل يقوم على اختلاف الخصوصية (الحميمية) بحيث أنّ كل فضاء هو فضاء حميمي مهما كانت قيمته المادية أو الوظيفية لأنّ كلّ فضاء يتميز بوظيفة خاصة به.

فالعلاقات الاجتماعية والحميمية للفرد وأفراد العائلة والمجتمع هي مهمة في الحياة وتوفير رفاهية العيش فهذه العلاقات لا تقتصر على علاقة السّكن بمحيطه الخارجي إنما تتجاوزه إلى العلاقة بين الأفراد داخل السّكن.

1. مكان في الذاكرة

"ما يُعرَف يُعرَف، وما يُعرَف يُمتلِك، وما يُمتلِك يُنتَهَك ويُستهلك ويهلك..."³

محمود درويش

قد نغادر فضاءات حميمية كنا نسكنها، وقد نهجرها عنوة أو اضطراراً، غير أنّها ما تنفك تستوطننا بمفعول الحميمية. فالحميمية هي ذلك الرابط الأزلي والحبل الصّري الذي وإن قطعناه ما ينفك يترك بصمته فينا، وهي الذاكرة التي تصلنا بأفضية غادرناها ولم تغادرنا، فالحميمي هو بالضبط ما يبقى في الذاكرة وما يستوطن مذكراتنا. لذلك فإن كل فعل كتابة للمذكرات ليست سوى إحلال للحميمية في الحرف لذلك يقول ادوارد سعيد " غير أنّ الدافع الرئيسي لكتابة هذه المذكرات هو طبعاً حاجتي إلى أن أجسّر المسافة، في الزمان والمكان، بين حياتي اليوم وحياتي بالأمس. أرغب فقط في تسجيل ذلك بما هو واقع بديهي دون أن أعالجه أو أناقشه، علاوة على أن انكبابي على مهمة إعادة تركيب زمن قديم وتجربة قديمة قد استدعى شيئاً من السخرية في الموقف والنبرة".⁴

لعلّ العودة إلى ذكريات الطفولة هو السبيل لفهم وتفسير الغموض بين الحميمية الحاضرة في المكان المعاش وتلك التي تعيش بداخل كل فرد (مكان العيش الطفولي). تلك الحميمية التي لم تعد ترتبط بالمكان بمفهومه الفيزيائي وغادرته لتسكن عالمنا الداخلي، وهو ما غيّب وزهد في الممارسة الحياتية الواقعية.

قد يكون الإحساس بالحميمية هو مكان ذكرى خلفها عزيز علينا فقد وفقدت معه حياة مشتركة في مكان جمعنا بمختلف مكوناته الظاهرية والباطنية وما تضمنه من ممارسات وأحاديث ونشاطات يومية

³ <http://waleedtalk.blogspot.com/2012/11/blog-post.html>

⁴ ادوارد سعيد، خارج المكان، تر: فواز طرابلسي، ط1، دار الآداب، بيروت، 2000، ص22.

أو أسبوعية أو سنوية... المكان الذي نعيشه هو الظاهر أما باطنه فهو تلك التجربة المعاشة التي تصمّم خارطة الحميميّ فينا، الساكن والحاضر بداخلنا بكل تفاصيله من أثاث وألوان وطريقة استغلال كل ركن فيه "ومحاولات إحياء نتف من حياة عشتها أو استحضار بشر غابوا..."⁵.

يزيد الفراغ النفسي الذي نعيشه في المكان المستهلك في الحاضر من استرجاع الحميميّ في دواخلنا وهو ما يولد لدينا قوة الإحساس بالمكانيّة، ويضعف تشبثنا بالأمكان والحنين له فهو يعمر مخيلتنا.

"للعالم الذي تنتمي إليه عائلي وتاريخي وبيئي وذاتي الأولوية الحميميّة"⁶ هكذا قال ادوارد سعيد، وهكذا حدد علاقتنا بالحميميّة التي لا يمكن أن تنتهي إلا بانتهائنا فهي حيث تجمّع أفضية ذكريات الماضي والطفولة وأوقات الحياة الرائعة التي لا تعاد.

2. المكان المبحور

تحتوي الحميميّة للأجساد والأرواح سواء كانت حية أو ميتة. أجسادا سكنته وغادرت تاركة روحها فيه روحاً تنبض في كل أرجائه بصوتها وذوقها للأثاث والألوان الذي نسقته ثمّ أصبح ذكرى لتلك الأجساد الساكنة في الفضاء. نفس الفضاء ونفس الأثاث تعيش فيه العديد من الأحداث منها الذكرى وأخرى الواقع "ويصبح الزمان والمكان مخترقين ومتخللين بحسّ غير واقعي"⁷ فالحضور للحميميّة هنا لا يتحقق إلا بحضور المكان المعاش في فترة ما فبالتجول داخله يحملنا إلى الآخر بكل ما فيه من ذكريات وحميميّة الماضي وحينما يفقد المكان المادي أو يندثر نلجأ إلى الصور علّها تغذي فينا الحنين والفراغ المكاني. فضاءات تنقلنا من صورة إلى صورة ومن ذكرى إلى أخرى. أركان ترغمنا على التذكّر واسترجاع لحظات حياتية فقدناها إلى الأبد تجعلنا نتمنى أن "تتخذ ذكرياتنا فجأة امكانية حية للوجود"⁸ إن استحضار الحميميّ ليس مجرد ذكرى وحنين لما هو قديم وتلقائي وبرئ بل هو محفز لاستمراريّة الحياة. فهي رحلة تربط الماضي بالحاضر والمستقبل. على غرار العديد الذين فقدوا المكان والصورة.... حيث

⁵ ادوارد سعيد، خارج المكان، تر: فواز طرابلسي، ط1، دار الآداب، بيروت، 2000، ص269.

⁶ ادوارد سعيد، خارج المكان، ص08.

⁷ غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلساء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984، ص75.

⁸ غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلساء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984، ص74.

"الحجرات التي اختفت من الوجود تصبح ملاجئ لماض لا ينسى"⁹ يظلّ هذا التبادل الوظيفي للفضاء والجسد والروح متواصل عبر الزمن.

إن "تغيير معالم المكان وطمس وجهه الجغرافي حتى لا يبقى فيه مكان تنطلق منه الرواية حاضرا ومستقبلا، وإن انطلقت في أحسن الأحوال فإنها تكون محرومة من الإستمرارية حاضرا ومستقبلا أيضا. وهكذا يلتقي البعد المكاني بالبعد الزمني"¹⁰ ويحظر من خلاله الحميمي الذي يعدّ ذكرى المكان الذي نحاول استعادة ما ضاع منه من خلال مخيلتنا واستحضار ذكرياتنا. هو المكان المادي والمخيل الفاقد للشعور نحوه بالانتماء والإنوجاد" بين هوية الأماكن كما يراها قاطنوها وبين هويتها كما تبدو للغرباء عنها. يستخدم لهذا الغرض مفهوم الإنتماء واللائتماء ويحدد لكل منهما مستويات مختلفة مفترضا أنه كلما نجحت البيئة في إيجاد حس قوي بالانتماء تأهلت أكثر لأن تصبح مكاناً أو بتعبير آخر كلما أحس الفرد بأنه راسخ في باطن المكان تأصلت بذلك هويته مع ذلك المكان.¹¹ فبقدر ما نربط علاقات حميمية بالمكان بقدر ما يتغذي مفهوم الإنتماء فينا.

3. محاكاة المكان

• "الحنينية"

أَتَقُنْتُ الْغِيَابَ.. وَأَنَا أَتَقُنْتُ الْحَيْنَ..

وكل منّا.. أدمنّ ماهو عليه..

الحنين هو شوقنا للأماكن المحفورة بذاكرتنا والتي تحتلّ مكانة مميزة لدينا حاضرة في مخيلتنا وأحلامنا تاركة غصة في قلوبنا ولا نستطيع نسيانها لقوة رابط الحنين والذكريات التي تشدنا إليها. أفضية نصبر على لقاءها على أمل زيارتها يوما ما رغم روعة السّكن الجديد وحدثته إلاّ أن العقل يظل شاردا بعبق أفضية الماضي وأحداثه المعاشة. البيت الذي نحس فيه بالحماية تربطنا به علاقة حميميّة لذلك يرى "غاستون باشلار" أن "البيت القديم بيت الطفولة هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نتذكره"¹².

⁹ غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1984، ص32.

¹⁰ محمد شاهين، إدوارد سعيد رواية للأجيال، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005، ص19.

¹¹ http://lapsd.blogspot.com/2011/08/blog-post_27.html

¹² غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالبا هلسا، منشورات المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2 بيروت، لبنان، 1989، ص9.

والحنين إلى الأماكن التي تحمل الكثير من الأحداث والإشتياق إليها ليس فقط اشتياق لأوقات مضت بل اشتياق لأنفسنا في الماضي ولطفولتنا الضائعة. اشتياق إلى دار الجدّ وحنين لا يفهمه إلا من عاش فيها... عالم جميل له قوانينه... فيه جميع الروابط العائليّة والمحبة والألفة واللّحمة والقلوب الصّافية... فيه الحرية والعفويّة...

دار الجدّ هي روح الحياة وحياة الرّوح زالت وزال معها الحُلُم، حلم عشق الحياة هناك، حياة الطّفولة والبراءة والصّفاء... ولا يزال الحنين يمثل رابطاً بينه وبينهم. أفضية رسمت بداخلنا المعنى الحقيقي للسّكينة، حاضرة في كل حين وأن عبر أشكالها وألوانها وأشياءها التي تميز داخلها. ذاكرة تتجسد في كل ركن من المنزل حتى في عناصره غير المستعملة والمهملة.

قد نشأت إلى كل التفاصيل والأشياء القديمة التي قد تؤثت الفضاء نفتش بين بقاياها عن شيء منا، أو على حدّ تعبير محمد أبو زريق هي "أفضية تبعث على التّجاذب والمودّة واللّحمة. حيث يصبح الفضاء ناقلاً للمعاني والعبارات يتوق إليه زائر ويحنّ إلى دخوله والتعايش مع مكّوناته. وعليه فإن المكان يتحول إلى رحم تناسل فيه التفاصيل والذكريات والعناصر".¹³

تحمل الأفضية قيمة جماليّة ورمزيّة بما تمنحه من حميميّة وطاقة تعبيريّة عالية وعابرة للأزمنة... لذلك فإنه بمجرد مغادرة تلك الأفضية وألوانها ندرك أنّ كلّ شيء تبخّر، تبخّرت معه الألوان ومحاكاة تلك الجدران والمفروشات. والذكرى هنا هي مزيج وجداني وحميمي ينبع من أمكنة هي نبع اللّون، وما اللون إلّا شجنها البريء المتعلق بالذات. للألوان قدرة هائلة لتنقلنا من زمن لآخر ومن مكان لآخر، لما تحمله من عناصر ومكّونات تنقلنا في رحلة عبر الذاكرة من فضاء لآخر في زمن غير زمننا ومكان غير مكاننا وعصر غير عصرنا.

4. مكانية الجسد

¹⁴ "Le corps n'est pas dans l'espace il habite l'espace".

¹⁵ "L'espace est déjà dessiné dans la structure de mon corps, il en est le corrélatif inséparable."

¹³ محمد أبو زريق، المكان في الفن، وزارة الثقافة، عمان، 2003، ص142.

¹⁴ M. Merleau-Ponty, La spatialité du corps propre et la motricité, Phénoménologie de la perception, 1945, p. 162.

¹⁵ M. Merleau-Ponty, La spatialité du corps propre et la motricité, Phénoménologie de la perception, 1945, p. 166.

تلي الرسوم والمخطوطات والصّور للتّصاميم المعماريّة الحاجيات المعاصرة للفرد فتزيد من إثارة السّاكّن وشغفه لممارسة ومعايشة الفضاء والامتداد معه عبر الواقع. فما ينتظره السّاكّن من المصمّم المعماري هو تحريك الشّغف للجسد عبر الفضاء الخيالي لتنسج جاذبية لممارسة الفضاء وليس مجرد تهيئة.

يتحدّد التّصميم الدّخلي عبر ثلاث مراحل مختلفة لكن متكاملة. تتمثل الأولى في مرحلة بناء التّصوّر التي تكون في مخيلة المصمّم أثناء انجاز المشروع، ومن ثمّ تأتي مرحلة التّصميم الافتراضي وهي الثلاثيّة الأبعاد ناتجة عن الصّورة المتخيّلة لدى المصمّم. أمّا المرحلة الثالثة، فتتميز ببعدها الإدراكي الملموس وقد تحوّلت إلى فضاء معاش والتقطت في الصّورة الفوتوغرافيّة. ويشكّل المصمّم والسّاكّن المحركين الأساسيين لهاتين الصّورتين. إذ ينطلق مصمّم الفضاء في بناء مشروعه الافتراضي من خلال ما تراء له من النسيج الخيالي الذي حاكه صاحب الفضاء المنتظر. وتستمرّ المرافحة بين الخيالي والافتراضي إلى أن يتبلور الفضاء في حلّته الملموسة.

رابط وثيق يجمع بين الخيال والفضاء هو الجسد. جسد متخيّل فحضور الجسد ينمي الرغبة في معايشة الفضاء والخيال يجعلك تبني الفضاء وتصمّمه لتعيشه وتحقق الرّغبة الخياليّة في معايشة الجسد له.

يتراى حضور الجسد من البداية سواء على مستوى المخيلة عند ساكن الفضاء أو في مخيلة المصمّم أثناء توزيعه للأفضية وتقسيمها فمصمّم الفضاء يعايش الفضاء والأجساد الناشطة فيه عبر مخيلته لذلك نجد مصمم الفضاء لا يغفل عن تصوير الجسد داخل مخططاته.

يحضر الجسد، فينتصب في الفضاء لا بل يسكن الفضاء. فكما يقول مارلوبنتي "الجسد ليس في الفضاء بل يسكّنه". فهو سكن متخيّل وسكن مسكون. إنّ رغبة الجسد في السّكن تنطلق من الخيال والافتراضات إلى واقعيّة معاشة ترتسم عبر زماكنيّة الفضاء. "يتجسد معنى مكانية الجسد وزمانيّته في تجاورهما الوجودي مع العالم. الجسد هو نواة الوقت. تتوارى وجوديّة الجسد وترتبط عن طريق الفضاء والزمان مع بقية الأجساد والأشياء في داخل نفس العالم"¹⁶.

¹⁶ M. Merleau-Ponty, La spatialité du corps propre et la motricité, Phénoménologie de la perception, 1945, p. 164.

فتبرز في ظل ذلك السّكينة. والسّكينة هي ما يفرزه ظاهر الفضاء الداخلي من دلالات ومعاني ماديّة بل هي أعمق من كل تلك الحدود المرئية والملموسة. إنها التعايش والانصهار في باطن الفضاء في ارتباطه الوثيق بالجسد الأنثوي أو الذكوري. هذا الجسد الحيّ المحرك للأشياء الذي يبث الرّوح في الفضاء. وسواء كان هذا الجسد كهلاً أو طفلاً أو امرأة أو رضيعاً... فلكلّ منهم روح تميزه عن غيره من حيث التفاعل مع خصوصيّة الفضاء الماديّة أو الوظيفيّة وعلاقتهما بالجسد المستهلك.

تتعدّد الأفضية وتنوع لتسكنها أجساد مختلفة. أجساد سكنت مخيّلة المصمّم المعماري وصاحب المسكن في طور الانجاز.

هذه العلامة تأكد أن الشعور بالرغبة في السّكن يتحقق عن طريق ما صمّمه المعماري وعبر ما يحدثه التصميم ثلاثي الأبعاد من شغف لما هو مفقود لدى جسد ساكن الفضاء. جسد يبحث عن السّكينة الوجدانيّة داخل سكن يحويه ويحتويه.

"وإذا كانت كينونة الأشياء قد صدرت عن لذة، وكان مجيء الإنسان صادراً عن حب" كما يقول ابن عربي¹⁷ فإننا لا نستطيع الحديث عن الفضاء ولذته بمنأى عن لذة الجسد وهكذا فإنه لا وجود لسكن في غياب ساكنه ومن هنا كان الجسد هو غاية الفضاء السّكني من تراه يتلذذ بالفضاء سوى الجسد أهو الجسد الساكن للفضاء؟ أم هو الجسد الزائر؟ لا تتحقّق متعة معايشة الفضاء واقعيّاً إلا بعد تجربتها خيالياً فهي تزيد من الرّغبة والتعلّق بالفضاء إذ المتعة التي يجدها الجسد الساكن ليست مماثلة للذة الخيال.

ان التصميم ثلاثي الأبعاد يؤدي فيه المصمّم دوراً مهماً نظراً لما ينتجه من تأثيرات على المستقبل قد تتجاوز المصمّم نفسه مما يجعل صاحب المنزل مشاركاً فيه وليس مجرد مستهلك للفضاء وهكذا فإن الخيال هو وجه آخر للواقع باعتباره محفزاً في اكتشاف اللذة المخفيّة.

تصاميم ورسوم وصور كلّها تمتزج في المخيلة غاية إدراك الحميميّة في الفضاء لتنمي الرغبة في السّكن وتزيد من شغف اللّجوء إليه.

"إن الفضاء المعماري هو من أهم المنتجات التي يتفنن المعماري وهو يصنعها ويتلاعب بنسبها ومواصفاتها، فلكل فضاء معماري متعة بصريّة وعاطفيّة وفكريّة خاصّة. والمعماري النّاجح من يصمّم

⁴ ابن عربي، الفتوحات المكية، ضبطه وصححه ووضع فهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999، ج 3، ص 484.

فراغاً يسيطر ويحوي أحاسيس الأفراد وذاكراتهم، وعليه تقع مسؤولية نقل الصّورة السّليمة والتّعبير عنها للمجتمعات، ويجب عليه أن يفهم البيئة والمكان والزّمان لتوفير الفضاء السّليم والمناسب للمجتمع".¹⁸ يسعى المصمّم الداخلي إلى تحقيق سكن تجمع فيه احتياجات صاحبه والمعايير التصميميّة من وضعيّة الغرف وبصفة خاصّة غرفة النّوم والتهوئة الطّبيعيّة والهدوء والإضاءة الطّبيعيّة وتوفير الخصوصية... إذ يعمل على إبعاد غرف الجلوس وغرف النّوم بصفة خاصّة على مصادر الضوضاء الداخليّة (الثّلاجة والغسّالة والآلات الكهربائيّة) والخارجيّة (الشّارع والسيّارات ووسائل النقل والورشات...) وذلك بالاعتماد على عدّة طرق تختلف باختلاف تموقع المسكن ومحيطه كالاتّباع بغرفة النوم عن الغرف الخدمائيّة أو استخدام بعض مواد العزل الصّوتي والحراري في الجدران والأسقف. كذلك مراعاة الخصوصية لغرفة النوم بعزل فتحاتها عن الخارج باستخدام الرّجاج العازل والسّتائر... فمنطلق تصميم كل فضاء بالأساس وظيفته، فغرفة النّوم أو جناح الزوجين تتأثّر وظيفته من خلال تداخل عدّة عوامل اجتماعيّة واقتصاديّة وفيسيولوجيّة وسيكولوجيّة.

أفضية لا يقيم المصمّم داخلها لكن هي مقيمة بداخله " وذلك نتيجة أن الأمر متعلق ههنا برؤية هي رؤيتي".¹⁹

اكتشفنا وكشفنا من خلال هذا البحث البعض ممّا كشفته لنا ممارسة البحث. فتعرّفنا على الوجه الآخر من الأفضية السّكنيّة. حيث تجاوزت ماديتها من مكان للسّكن إلى كيان. كيان وجودي بوجوديّة ساكنيه، فعبره تتحدّد شخصيّة ساكنه ويتحدّد من خلالها.

انتهينا إلى كشف دلالات الفضاء الحميمي السّكني باعتباره هندسة تبلور تمثّلات الأفراد كما يتحدّد إنتاج هذه الأخيرة حسب الوضع الذي يحتله الفرد في فضائه ومجال التّفاعل. وهذا ما جعلنا ندرك الحميميّة في المسكن لنعيشها ويعيشها الفضاء فينا. حميميّة أنتجت روائح المسكن وإضاءته وأجواءه... فيتحوّل كلّ ذلك إلى جدل زمكانيّ يتحكّم في الفضاء الحميميّ ويؤثّر فيه.

قائمة المراجع

ادوارد سعيد، 2000، خارج المكان، تر: فواز طرابلسي، بيروت، دار الآداب.

¹⁸ روند حمد الله أبو زعور، أثر التصميم الداخلي في انجاح محتوى الفضاءات المعماريّة الداخليّة والخارجيّة، رسالة ماجستير، فلسطين، 2013،

ص. 16

¹⁹ مورييس ميرلوبونتي، المرئي واللامرئي، ترجمة د. عبد العزيز العيادي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان، 2008، ص. 55.

ابن عربي، 1999، الفتوحات المكية، ضبطه وصححه ووضع فهرسه أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1.

موريس ميرلوبونتي، 2008، المرئي واللامرئي، ترجمة د. عبد العزيز العيادي، لبنان، ط 1 مركز دراسات الوحدة العربية.

غاستون باشلار، 1984، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

محمد شاهين، 2005، إدوارد سعيد رواية للأجيال، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

محمد أبوزريق، 2003، المكان في الفن، عمان، وزارة الثقافة.

روند حمد الله أبوزعرور، 2013، أثر التصميم الداخلي في انجاح محتوى الفضاءات المعمارية الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير، فلسطين.

Agneray F, Tisseron S, Mille C, Wawrzyniak M, Schauder S, L’habitat et ses liens avec le psychisme: aspects psychopathologiques et cliniques de l’attachement à l’habitat.

Catherine Potel Baranes, 2008, INTIMITÉ DU CORPS. ESPACE INTIME. SECRET DE SOI, ERES « Enfances & Psy », <https://www.cairn.info/revue-enfances-et-psy--2.htm>

M. Merleau-Ponty, 1945, La spatialité du corps propre et la motricité, Phénoménologie de la perception.

<http://waleedtalk.blogspot.com/2012/11/blog-post.html>

http://lapsd.blogspot.com/2011/08/blog-post_27.html